5- وعلى هذا فإن الإمام سعود لم يمنع أحداً من المسلمين من الحج إنما منع إهانة البلاد المقدسة بالبدع والمنكرات التي تصحب المحمل وقوافل الحج، إذن فالمشكلة تكمن في أن أكثر المسلمين المتعلقين بالبدع لا يستغنون في حجهم وعمرتهم وزيارتهم للديار المقدسة عن ممارسة البدع، من زيارة القباب والقبور والمشاهد والآثار والأشجار والأحجار التي يقدسونها ويتبركون بها بزعمهم، كما أسلفت.

6- كما أن الدولة السعودية لما مكنها الله تعالى من حكم إمارة مكة منعت بدعة المحمل وما يصاحبها من بدع ومنكرات، لا تليق، وتتنافى مع تعظيم شعائر الله، والمشاعر المقدسة وأهل البدع أصروا على اصطحاب المحمل وهم قادمون من عدد من البلاد الإسلامية المجاورة وغير المجاورة أو لا يحجون. فانقطع كثير منهم عن الحج لهذا السبب.

وقد ذكر الجبرتي مرة أخرى -وهو مؤرخ محايد- ذلك، وبين أن ابن سعود لم يمنع الحج لكنه منع البدع.

قال في حوادث سنة (1223هـ): « ومنها انقطاع الحج الشامي والمصري معتلين بمنع الوهابي[1] الناس عن الحج. والحال ليس كذلك فإنه

---

[1] () يقصد الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد.

لم يمنع أحداً يأتي الحج على الطريق المشروعة، وإنما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة، وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة وحجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله ولم يتعرض لهم أحد بشيء »[1].

يقول الدكتور عجيل النشمي:

« والحق الذي ينبغي أن يكشف أن الأمير سعود لم يمنع أحداً من حج بيت الله الحرام. وكل ما حدث من ذلك إنما هي ملابسات اقتضتها الظروف السياسية والعسكرية وكان لها ما يبررها فعلاً، ولنثبت ذلك بتتبع هذا المنع كما أوردته ثقات المصادر »، ثم ذكر ذلك وقال:

« ويلاحظ هنا أنه منذ أن دخل سعود مكة في حجته الرابعة عام (1222هـ) لم يحج أحد من عواصم البلاد الإسلامية الكبيرة من استانبول أو الشام أو مصر، أو العراق والتعبير بأنه لم يحج أحد يشير إلى أنه لم ترسل تلك الدولة حملات الحج الرسمية المعتادة وظل هذا الإحجام عن أداء فريضة الحج حتى (1226هـ) وهي السنة التي جهزت فيها دولة الخلافة محمد علي باشا لحرب الحركة الوهابية. وهذا يعني أن خمس سنوات مرت دون أن يحج أحد من تلك الأقطار.

---

[1] **() عجائب الآثار للجبرتي (3/247).**

وليس هناك ما يشير إلى أن الأمير سعوداً هو الذي حظر على تلك العواصم من أن تحج. بل إن السبل في أيامه كانت أكثر أمناً من أي وقت مضى وليس شرط الأمان الذي كان يأخذه أهالي المغرب كما ذكرنا شرطاً أو بنداً على الحج يمنع تلك الأقطار من الحج، فإن الذي يحتاجه -على ما نرجح- هم الحجاج الشراذم أو الجماعات الصغيرة، فإعطاؤه الأمان حينئذ زيادة في تمكينها من أداء الحج والعودة سالمة عبر تلك المسافات الشاسعة التي كان مرورها فيه قبل ذلك يحمل المخاطر الجسام. فالأمان والحال هذه ميزة لا قيد.

بل أن الأمير سعود نفسه، تعرض لهذه القضية لحساسيتها -وهذا من بعد نظره. فذكرها في رسالته إلى السلطان سليم،و بين أنه سيمنع الحاج القادم من الشام أو مصر إذا كان مصطحباً مظاهر الإخلال بمشاعر الحج وحرمتها، ومن اصطحاب الطبول والمزامير وما أشبهها،و علل ذلك بأنه ليس من الدين في شيء. ولم يقل أنه سيمنعهم لمجرد المنع.

وهذا تلمسه ساطعاً جلياً في رسالته -آنفة الذكر- حين قال موجهاً الخطاب إلى السلطان سليم « فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القاهر من المجيء إلى هذا البلد المقدس بالمحمل والطبول والزمور، فإن ذلك ليس من الدين من شيء ».

إلا أن النتيجة التي انبنت على هذا الإحجام عن الحج طوال هذه المدة أن انبنى في أذهان الناس

عموماً في شتى الأقطار نوع عداء للحركة الوهابية نابع من أنها هي التي منعت الحج،و أن سبله تحوطها المخاطر الذي تتحمل مسئوليتها الحركة الوهابية ولقد نجح -كما يبدو- استغلال هذا الواقع لتشويه وتجسيم عداء الأمير سعود أو الحركة الوهابية ككل لدولة الخلافة. ولقد قام بهذا الدور الشريف غالب وغيره فيما كان يرسل من رسائل إلى دولة الخلافة يوهمها بأن الأمير سعود يمنع حجاج الأستانة أو غيرها، بل إن الشريف غالباً كان يزوِّر الرسائل على لسان الأمر سعود ويضمنها مثل تلك المعاني - كما سنكشفه فيما بعد »[1].

ويقول الدكتور محمد بن سليمان الخضيري: « ومن الأساليب الأخرى التي اتبعتها لهذا الغرض، إشاعة منع السعوديين للناس من الحج والحقيقة كما قررها المؤرخون المنصفون، أن الدولة السعودية لم تمنع أحداً أتى إلى الحج على الطريقة الإسلامية المشروعة، أما من يصر على أن يأتي بالبدع مثل: الطبل والزمر وحمل السلاح، فالواجب تنبيهه أن ذلك يخالف الإسلام، فإن رضي فقد أعتق نفسه من مخالفة شرع الله، وإن رفض فلا مكان له بين حجاج المسلمين الملتزمين بالعقيدة الإسلامية »[2].

---

1 **() إعادة ترتيب أوراق سقوط الخلافة (مقالة) الحلقة (53) مجلة المجتمع عدد (517) ص(37-39).**

2 **() الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية (353).**

دعوى التضييق على أهل الحرمين في أرزاقهم:

الـذين يعيشـون ويرتزقـون علـى مـوارد البـدع كـثيرون فـي مكـة والمدينـة وغيرهمـا، مـن سـدنة القبـاب والمشـاهد والمـزارات، وحجابهـا وخـدامها ومزوريهـا، وجيرانهـا،والقـائمين علـى أوقافهـا ومراسمها، وغيرهم كثير مـن المنتفعيـن مـن قيـام هذه البدع ومنكراتهـا، كـل هـؤلاء تنقطـع مـواردهم، بإزالة هذه البدع والمحدثات. وقـد حصـل شـيء مـن ذلك عندما قـامت الدولـة السـعودية، وأتبـاع الـدعوة السلفية؛ بهدم القباب والمشاهد وإزالـة البـدع ممـا تسبب كذلك في امتناع أهل البدع من القدوم للحجاز كما أسلفت يقول الجبرتي في ذلك:

« ولما امتنعت قوافل الحج المصـري والشـامي وانقطع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل إليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يتعيشون منهـا خرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسائهم ولم يمكـث إلا الذي ليس لـه إيراد من ذلك وأتـوا إلـى مصـر والشـام ومنهم من ذهب إلى إسلامبول يتشكون من الوهـابي ويستغيثون بالدولـة فـي خلاص الحرميـن لتعـود لهـم الحالة الـتي كـانوا عليهـا مـن إجـراء الأرزاق واتصـال الصلات »[1].

---

[1] **() الجبرتي (3/247).**

أما دعوى نهب خزائن الحجرة النبوية:

فإنه حينما تمكنت الدولة السعودية الأولى من المدينة، أزالت المنكرات والبدع والمحدثات ومنها ما يفعله الجهلة وأهل البدع من إلقاء النفائس في الحجرة، فأخذها الإمام سعود بن عبدالعزيز وعرض أمرها على العلماء، فأفتوه بصرفها في مصالح المسلمين،و هذا مما يجب أن يحمد له، لكن أهل البدع صوروا ذلك على أنه من الكبائر العظيمة.

يقول الجبرتي في ذلك: « ويذكرون أن الوهابي استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ونقلها وأخذها فيرون أن أخذه لذلك من الكبائر العظام ».

ثم قال الجبرتي مبيناً أن أصل وجود الذخائر في الحجرة من البدع والخرافات: «وهذه الأشياء أرسلها ووضعها خساف العقول من الأغنياء والملوك والسلاطين الأعاجم وغيرهم إما حرصاً على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتي بعدهم أو لنوائب الزمان فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج إليها فيستعان بها على الجهاد ودفع الأعداء فلما تقادمت عليها الأزمنة وتوالت عليها السنين والأعوام الكثيرة وهي في الزيادة فارتدت معنى لا حقيقة، وارتسم في الأذهان حرمة تناولها وأنها صارت مالاً للنبي

اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً »[1].

وروى الترمذي بسنده عن أبي أمامة -- قال: «عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، أو قال ثلاثاً أو نحو ذلك فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك »[2] ثم إن كانوا وضعوا هذه الذخائر والجواهر صدقة على الرسول ومحبة فيه فهو فاسد [فهو][3] لقول النبي : « أن الصدقة لا تنبغي لآل محمد إنما هي أوساخ الناس »[4] ومنع بني هاشم من تناول الصدقة وحرمها عليهم والمراد

---

1 () رواه البخاري رقم (6460) كتاب الرقاق: باب كيف كان عيش النبي .

2 () رواه الترمذي رقم (2347) وقال حديث "حسن" على الرغم أن في سنده علي بن يزيد الألهاني وهو ممن ضعف لكن تحسين الترمذي للحديث لشواهده.

3 () كذا في الأصل ويظهر أنها زائدة.

4 () رواه مسلم (2482) كتاب الزكاة: باب ترك استعمال آل النبي على الصدقة.

الانتفاع في حال الحياة لا بعدها »[1].

ثم قال: « وكنز المال بحجرته وحرمان مستحقيه من الفقراء والمساكين وباقي الأصناف الثمانية وإن قال المدخر: أكنزها لنوائب الزمان ليستعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند الحاجة إليها قلنا: قد رأينا شدة احتياج ملوك زماننا واضطرارهم في مصالحات المتغلبين عليهم م ن قرانات الإفرنج وخلو خزائنهم من الأموال التي أفنوها بسوء تدبيرهم وتفاخرهم ورفاهيتهم فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة بكفالة إحدى الفرق من الإفرنج المسالمين لهم، واحتالوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس والمصادرات والطلبات والاستيلاء على الأموال بغير حق حتى أفقروا تجارهم ورعاياهم، ولم يأخذوا من هذه المدخرات شيئاً بل ربما كان عندهم أو عند خونداتهم جوهر نفيس من بقايا المدخرات فيرسلونه هدية إلى الحجرة ولا ينتفعون به في مهم اتهم فضلاً عن إعطائه لمستحقه من المحتاجين وإذا صار في ذلك المكان لا ينتفع به أحد إلا ما يختلسه العبيد الخصيون الذين يقال لهم أغوات الحرم والفقراء من أولاد الرسول وأهل العلم والمحتاجون وأبناء السبيل يموتون جوعاً وهذه الذخائر محجور عليها وممنوعون منها إلى أن حضر الوهابي واستولى على المدينة

---

[1] **() عجائب الآثار للجبرتي (3/247، 248).**

وأخذ تلك الذخائر »[1].

ويكفـي السـعوديين فخـراً أنهـم جعلـوا هـذه الأموال تحت تصـرف العلمـاء، وأنهـم صـرفوها فـي مصارفها الشرعية.

وقد زعم بعض الخصوم أن أهل نجد حين تولـوا بلاد الحرمين انتهكـوا حرمـات الحـرم، وأهـانوا أهلـه وكـل ذلـك مـن البهتـان، بـل الصـحيح عكـس ذلـك، والعجيب أن غير المسلمين كان بعضهم أكثر إنصـافاً في ذلك.

يقول الراهب هيوجس **Huges**)):

« لـم يصـب المـواطنين أي أذى لأجـل قداسـة الحـرم. وبعـد أن تـولى الإمـارة أهـل نجـد عمـرت المساجد حتى أن هذا المنظر من الزهد والطاعة لـم ير لـه مثيل في هذا البلد الأمين بعد عهد النبوة »[2].

وكتب معاصر أوروبي آخر وهو برك هارت:

« ما زال أهل مكة يذكرون اسم س عود بالشـكر والرضى حتى الآن وما زالت معاملـة الجنـود الطيبـة تذكر بثناء ومدح بالخصوص معاملتهم في أيـام الحـج والزيارات. ولم يسـتطيعوا أن ينسـوا تلـك المعاملـة العادلة التي شاهدوها من جيوشه[3].

وزيادة على هذا أجبر الناس كلهم على الصـلاة مع الجماعة ودمرت آلات التنباك والملابس الحريريـة

1 **() عجائب الآثار للجبرتي (3/249-250).**

2 **() قاموس الإسلام (Dietionory of Islam) ص(660).**

3 **() برك هارت (2/149).**

والغيت المكوس والرسوم التي لا يقرها الشرع الإسلامي[1].

وقضى على تعدد الجماعات في الصلوات وبدأ الناس يصلون وراء إمام واحد وبدأ علماء المذاهب المختلفة يصلون بالناس في أوقات مختلفة »[2].

دعوى أن دعوة الإمام مذهب خامس:

ساد عند كثير من خصوم الدعوة والجاهلين بحقيقتها أن الإمام محمد بن عبدالوهاب جاء بمذهب خامس أي أنه خرج عن مذاهب أهل السنة الأربعة ويقصدون بذلك التعريض بل والتصريح بأنه جاء بمذهب مبتدع في الدين.

هذه الفرية لا يقولها إلا جاهل أو مغرض لأن واقع الحال أن الإمام محمد بن عبدالوهاب وعلماء الدعوة صرحوا بأنهم على مذهب الإمام أحمد في الفروع، ويحترمون المذاهب الثلاثة الباقية الحنفي والمالكي والشافعي، بل كثيراً ما يرجحون غير قول الحنابلة إذا كان الدليل مع أحد المذاهب الأخرى.

هذا من حيث الفروع والاجتهاديات.

أما في العقيدة وأصول الدين فإنهم -أعني الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه- هم السائرون على منهج الأئمة الأربعة وعقيدتهم تطابق ما كانوا

1 **() الهدية السنية (43).**

2 **() الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث (88، 89).**

عليـه؛ لأنهـا السـنة الـتي كـان عليهـا رسـول اللـه وصحابته والتابعون والسلف الصالح. وقد بينـت هـذا في عرض عقيدة الإمام وأتباعه، وعلـى ذلـك فيعلـم بالضرورة أنهم أولى بالأئمة الأربعـة وسـائر السـلف الصالح، ومن التكلف وتحصيل الحاصـل طلـب إثبـات ذلك.

إذن فالإمــام محمــد بــن عبــدالوهاب متبــع لا مبتدع، وخصومه الذين لم يقبلوا ما دعا إليه من الحق والسنة، وترك البدع والمحدثات. هم الذين على غيـر المذاهب الأربعة وعلى غير نهج السلف الصالح وهذه حقيقـة لا مـراء فيهـا لمـن عـدل وأنصـف واسـتقرأ الحال.

فهذه دعوة الإمام وكتبه ورسائله وواقـع حـاله يشهد بذلك، وكذلك واقع علماء الدعوة وأتباعها إلـى اليوم يشهد بذلك.

فهم في العقيدة والأصول على مذهب السلف بما فيهم الأئمة الأربعة.

وهم في الفروع على مـذهب الإمـام أحمـد بـن حنبل.

فلمـــاذا يصـــنع لهـــم الخصـــوم الأوهـــام والمفتريات؟!.

ولـذلك لمـا زعـم خصـوم الإمـام محمـد بـن عبدالوهاب وذكروا عنه بعـض المفتريـات الـتي منهـا: أنه جاء بمذهب خامس وأنـه أبطـل المـذاهب الأربعـة.

أنكر ذلك ونفاه وقال [illegible] »[1].

[illegible] [illegible]: « [illegible] »[2] [illegible]: « [illegible]... » [illegible][3].

[illegible] [illegible]: « [illegible] [illegible] »[4].

دعوى الخروج على الخلافة:

إن الدارس لحال نجد يلحظ أنها منذ القرن الثالث الهجري كانت تتنازعها سلطات مختلفة فصلتها عن التبعية المباشرة لدولة الخلافة، العباسية ثم العثمانية. فمنذ سنة (251هـ) تقريباً استقلت دولة بني الأخيضر (شيعية زيدية) بالحجاز

---

1 () سورة النور، آية (16).
2 () الدرر السنية (1/34).
3 () الدرر السنية (1/64، 79).
4 () الدرر السنية (1/64، 79).
5 () الدرر السنية (1/65).

عن الخلافة العباسية، وضمت إليها نجد واليمامة، ثم خضعت نجد واليمامة لنفوذ القرامطة الباطنيـة إلـى منتصف القرن الخامس الهجري.

وبعدها بقيت هذه الـديار مهملـة تتنـارع عليهـا الدويلات، وفيها زعامات ورئاسات محلية إلى أن جاء الأتراك إلـى الأحسـاء واليمـن والحجـاز فكـانت نجـد تحت إشراف الولاة الأتراك فـي الأحسـاء أو الحجـاز، وفي كل الأحوال كان هذا الإشراف غيـر مباشـر بـل هو إلى الشكلي والرمزي أقرب منه إلى الفعلي.

ومع ذلك فقد انقطع هذا الإشـراف كليـة حيـن استقل زعيم بني خالد براك بن غريـر بالأحسـاء منـذ عام (1080هـ).

وحين بدأ الإمام بدعوته المباركة قبيل منتصف القرن الثاني عشر كانت نجد كلهـا (ومنهـا اليمامـة) تحكمها إمارات ومشيخات صغيرة متنازعة ليست لها تبعية لآخرين إلا التبعية الرمزية لحاكم الأحساء (وهو مستقل عن الخلافة عملياً) وكان كل أمير وشيخ في نجد يشعر بالاستقلالية المطلقة.

وكانت هذه الإمارات والولايات المسـتقلة فـي نجد ضعيفة، وأهل الحـل والعقـد فـي كـل بلـدة هـم الـذين ينظمـون شـؤونهم الداخليـة وعلاقـاتهم الخارجية في الحرب والسلم وفي القضاء والحسبة. وإن كان قد يوجد في نفوس بعض الناس شـيء مـن الولاء الرمزي للخلافة كالدعاء للسلطان في المنـابر

ونحو ذلك.

وكانت الدولة التركية لا ترى نجد اً وأهلها ا شيئاً يستحق الاهتمام ولذلك لما قسمت البلاد الإسلامية التي تحت نفوذها إلى ولايات (إيالات) لم يكن لنجد أي ذكر، ثم لما قامت الدعوة وفي أول عهدها، لم تأبه بها الدولة العثمانية. مع العلم أن خصوم الدعوة كانوا يراسلون دولة الخلافة ويستعدونها عليها، ويشوهون سمعتها لديها، وقد بلغ تشويه صورة الدعوة لدى الدولة العثمانية أقصى ما يمكن تصوره من الكذب والبهتان والاستعداء، عن طريق الرسائل والتقارير الرسمية، وغير الرسمية، والبعوث وسائر الوسائل التي لا تملك الدعوة معشارها.

والمتأمل لكلام الإمام في هذه المسألة يدرك أنه لم يتقصد الخروج على الخلافة، ولا معارضتها بل كان يرى أن ما يقوم به من الدعوة أمر واجب شرعاً لا علاقة له برضى الخلافة، وأنه لم يفتات على الخلافة في ذلك. وأن أمير بلده (العيينة) وحاكمها (ابن معمر) ثم ابن سعود في (الدرعية) كان يعاونه ويؤيده وهو واليه وأميره المباشر، لا سيما إذا وضعنا في الاعتبار أن الإمام يعتقد بأصول أهل السنة والجماعة في وجوب طاعة الإمام بالمعروف، وأنه لا يجوز الخروج عليه براً كان أو فاجراً.

وقد قرر هذا الأصل وبينه في رسائل مؤلفاته وذكرنا طرفاً منه في هذا الكتاب.

ثـم إن الدولـة التركيـة آنـذاك فـي عهـد الإمـام وإلـى أن سـقطت كـانت واقعـة تحـت طائلـة البـدع والتصــوف. فكــانت تتبنَّــى البــدع وتؤيــد الطــرق الصوفية وتنشرها وتحميهـا وتسـخر لهـا الإمكانـات، والإدارات والأوقاف ويتسابق ولاتهـا وأمراؤهـا إلـى ذلك.

فأسهمت فـي ترسـيخ بـدع الأضـرحة والقبـاب والمــزارات والمشــاهد البدعيــة ووقــع خلفاؤهــا المتــأخرون تحــت تــأثير شــيوخ الطــرق البدعيــة، فانصــرفت قلــوبهم لغيــر اللــه فــانهزمت نفوســهم وانحرفت عقيدتهم واتجهـت إلـى طلـب النفـع ودفـع الضر من غير الله وأصـيبت عبـاداتهم وأعمـالهم بـداء التصوف. وأصدق مثال على ذلك الرسالة التي وجـدت حول قبر النبي

---

[1] () الدرر السنية (1/304).

وحين حدثت المواجهة الفعلية بين دولة الدعوة (الدولة السعودية الأولى) وبين أشراف مكة بعد وفاة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب (ت 1206).

فلم تكن هذه المواجهة تقصد الخروج على الخلافة، إنما كانت لصد عدوان أشراف مكة وغيرهم في هجومهم المسلح مرات عديدة على الدولة السعودية ورعاياها والأقاليم التابعة لها.

ولرفع الظلم الذي تعرض له النجديون من منعهم من الحج سنين طويلة، وتعرضهم لصنوف العدوان وما يستتبع ذلك من إزالة مظاهر الشرك والبدع ونشر التوحيد والعدل والأمن الذي هو هدف شرعي للدعوة فزحفت جيوش الدعوة إلى الحجاز حتى دخلت مكة سلماً بلا حرب.

فكان دخول مكة من قبل الأمير سعود بن عبدالعزيز سنة (1218هـ) صلحاً بغير قتال، بل بأمان لأهل مكة وبإقرار شريف مكة (عبدالمعين) على إمارة مكة بعد ما هرب منها الشريف (غالب) إلى جدة وإقرار قاضيها المعيَّن من الدولة العثمانية.

وقد أرسل الأمير سعود إلى السلطان سليم،

واعترف لـه بلقب السـلطان وأخـبره بمـا حـدث مـن هدم أشباه الوثنية، وإلغاء الضـرائب، ونشـر التوحيـد والسنة والأمن والعدل.

وطلـب منـه أن يمنـع « والـي دمشـق ووالـي القاهرة من المجيء إلى هذا البلد المقدس بالمحمل والطبول والزمـور، فـإن ذلـك ليـس مـن الـدين فـي شيء »[1]، ولم يمنعهم من الحج كما يزعم الخصوم.

ولما توفي الأمير سعود بن عبدالعزيز وتولى ابنه عبدالله بن سعود، أكد للخليفة العثماني أنه يعلـن الولاء للسلطان لكن الشريف غالب كان يحول بين السلطان وبين تأكيد هذه الحقيقة، فقد ثبت أنه يـزوّر رسائل ومكاتبات باسم الأمير السعودي تتضمن خلاف الواقع.

بـل ثبـت أن أبـاه « سـعود بـن عبـدالعزيز كـان يرسل رسـائل للخليفـة فيهـا النصـح والـولاء، وكـان الشريف غالب يمنع وصولها.

ولمـا شـعرت الدولـة التركيـة بـالخطر علـى سلطانها لا سيما حين دخلت الدولة السعودية الحجاز وهيمنت على الأمور بجدارة، وأزالـت مظـاهر البـدع والشـركيات، ونشـرت الأمـن ثـارت ثـائرة الأتـراك وولاتهم في مصر والشام والعراق وغيرها.

ومن ثم حدثت المواجهة مع الأتراك وأتبـاعهم،

---

[1] **() انظر: إعادة ترتيـب الخلافـة (مقـالات) لعجيـل النشـمي - الحلقة (55) مجلة المجتمع عدد (522) ص(37-39).**

وصارت الدولة التركية تحارب الدعوة علناً في سبيل نصرة البدع والمحدثات والمظاهر الشركية، وقصدت القضاء على دولة التوحيد والسنة، وحشدت كل ما تملك لذلك، فأرسلت إبراهيم باشا لهذا الغرض العدواني حتى قضى على الدولة السعودية الأولى ظاهراً، لكنها في الحقيقة بقيت حية في قلوب الناس وعواطفهم ولذلك نهضت سريعاً مرة أخرى.

وفي هذه الحال كان هذا مبرراً كافياً لبعض علماء الدعوة « بعد وفاة الإمام » أن يعدوا ذلك نوعاً من المحادَّة لله تعالى ولرسوله والصد عن دينه، الذي قد يكون كفراً، وعليه فإن الإمام محمد بن عبدالوهاب لم يكن ينزع إلى الخروج على الدولة التركية أصلاً ولم يستبح القتال، إلى أن كان القتال ضرورة.

وكذلك حين قامت الدولة السعودية الثالثة « الحالية حرسها الله » على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، آل سعود، كانت الأمور سائرة على هذا الأصل.

فقد أعلن الملك عبدالعزيز أنه مقرٌّ لدولة الخلافة، ناصح لها، فقد أكَّد ولاءه للدولة العلية في رسالته للسلطان عبدالحميد المؤرخة في 1/9/1322 هـ، وقد أقرت الدولة العلية للملك عبدالعزيز بسلطته على ما تحت يده[1]، وبذلك تنتفي الشبهة ويزول

---

[1] **() انظر: إعادة ترتيب أوراق الخلافة (مقالات) للنشمي**

الإشكال.

على أي حال، فقد قامت في نجد دولة ذات سيادة مستقلة وكيان شرعي في بلد ليس للخلافة عليه سلطان فعلي.

يقول الإمام في ذلك: « والأمر الثاني: أن هذا الأمر الذي أنكروا علي، وأبغضوني وعادوني من أجله، إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن، أو غيرهم يقول: هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أظهره في مكاني لأجل: أن الدولة (العثمانية) ما يرضون؛ وابن عبدالوهاب أظهره؛ لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه، هذا كلام العلماء، وأظنه وصلك كلامهم »[1].

فنجد أنه هنا ربط المسألة بحاكم بلده ويبين ذلك قوله:

« والذي يصدق كلامي هذا: أن العالم ما يقدر يظهره، حتى من علماء الشام من يقول: هذا هو الحق ولكن لا يظهره إلا من يحارب الدولة »[2].

وفي هذا دلالة على أنه يرى أنه في حل مما كان يخشاه بعض علماء الشام حين اعترفوا أن ما جاء به حق لكنهم كانوا في بلد للدولة العثمانية عليه سلطان مباشر وليس عندهم حاكم تمتنع به الدعوة.

وبالجملة فإن الدعوة كانت ترعى حق الدولة

الحلقة (60)مجلة المجتمع العدد (527)، ص(38، 39).

1 **() الدرر السنية (1/90).**

2 **() الدرر السنية (1/91).**

العثمانية إلى أن بدأ العدوان من الولاة التابعين للدولة العثمانية في الأحساء والحجاز وإلى أن تورطت الدولة العثمانية في الانحياز مع خصوم الدعوة، وأعلنت حماية الشركيات والبدع بالقوة وقد ناقش الدكتور عجيل النشمي هذه المسألة مناقشة وافية ومستفيضة اقتطف منها ما يلي:

« لم تكن بلاد نجد والجزيرة العربية -موطن نشأة الحركة الوهابية- أسعد حالاً من بقية البلاد الإسلامية خصوصاً في القرن الثامن عشر، حين ضعفت دولة الخلافة الإسلامية وانشغلت بأوضاعها الداخلية ومشاكلها عن كثير من البلاد الإسلامية الأمر الذي أضعف سلطتها في تلك البقاع، وقعد بها دون ملاحقة ما يدور فيها من خلافات ومشاكل وأدت إلى كثير من الحروب الطاحنة.

ولعل من سوء حظ بلاد نجد وعلى الخصوص أنها لم تلق العناية الكافية بل لم تلق أي عناية من الدولة العثمانية -فإقليم نجد لم يخضع للدولة العثمانية- أو بمعنى أصح لم تسع الدولة العثمانية لإخضاعه إخضاعاً تاماً - فلم يظهر ضمن قائمة التقسيمات الإدارية التي وضعت في أوائل القرن السابع عشر وظل معمولاً بها حتى القرن التاسع عشر، فلم يشهد الإقليم ولاة عثمانيين يأتون إليه ولا حماية تركية تجوب خلال دياره ».

وموقف الدولة العثمانية لا غبار عليه إذا أخذنا

بالاعتبار ضعف الدولة عموماً وعـدم أهميـة بلاد نجـد بشكل عام إذا قيست بأقطار أخرى أكثر أهمية منها، ولذلك حرصت دولة الخلافة أن تكـون لهـا صـوت مـع أطراف نجد وعلى الخصوص فـي الأحسـاء والحجـاز، والأحساء لموقعها الاستراتيجي العسكري, والحجـاز لموقعهـا الـديني فـي ضـمها لأقـدس البقـاع وقبلـة المسلمين ومسجد النبي فهـو ملتقـى المسـلمين في حجهم أو عمرتهم.

وكانت نجد عبارة عن دويلات أو إمارات صـغيرة يستقل بكل إمارة أسـرة أو قبيلـة وكـانت العلاقـات بين تلك الإمارات تقوم على حـب السـيطرة وانتهـاز الفـرص لتوسـيع رقعـة الإمـارة، فكـانت الثـارات والحروب مستمرة مستعرة بينهم، وكانت أشهر تلـك الأسـر النجديـة أسـرة آل سـعود فـي الدرعيـة، وآل زامل في الخرج، وآل معمر في العيينة، وأسرة دهام بن دواس في الرياض.

وتتبع كل أسرة أو بلد عدة مـن القـرى، وكـانت النزاعات والحروب تثور أيضاً بين تلك القرى والبلدة ذاتها وهذا الوضـع السياسـي ابتـداء بموقـف الدولـة العثمانية وانتهاء بالدويلات النجدية القبلية، سبب بلا شك ظهور قطاع الطرق واضطراب الحيـاة وانتشـار الفوضى والظلم، ولم يسلم من الفتك حتى الوعـاظ والعلماء، بل لم يكن نصيبهم إلا الإهانة والقتل »[1].

---

[1] () إعـادة ترتيـب أوراق سـقوط الخلافـة (الوهابيـة أولـى

ويقول الدكتور عجيل جاسم النشمي في مقالته: (دولة الخلافة والحركة الوهابية):

« ولم يكن أحد من المسلمين الغيارى الواعين يرى أن علاج دولة الخلافة بإعلان الحرب عليها وتقطيع أوصالها ».

« فما هو موقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب صاحب أول حركة إسلامية معاصرة لمرحلة السقوط؟ هل كان يرى عداءها... والخروج عليها... هل كان مجتهداً مخطئاً. أم كان يرى بقاءها وقام بحركته لإسنادها وتجديد وجهها، وإعادتها إلى صفاء العقيدة وسلامتها. هذا ما نحاول الإجابة عنه في هذه الحلقة والحلقات القادمة »[1].

ثم قال: « -بعد الاستقصاء- نستطيع القول باطمئنان أن كتابات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ليس فيها تصريح بموقف عدائي ضد دولة الخلافة، وغاية ما يمكن أن يقع عليه نظر الباحث تلميحات في هذا الخصوص لا ترقى إلى تكوين رأي معاد لدولة الخلافة »[2].

ثم ذكر الأدلة على ذلك وقال: « وهكذا كانت سياسة الشيخ وموقفه تجاه بلاد الحجاز مكة والمدينة طوال حياته ولم يؤثر عنه تحريض واستعداء أو دعوة

الحركات الإسلامية) الحلقة (30) ص(46) مجلة المجتمع العدد (491).

1 **() المصدر السابق الحلقة (44) ص(42) العدد (506).**

2 **() المصدر السابق الحلقة (44) ص(43) العدد (506).**

لحربها أو الاستيلاء عليها لشعوره أن ذلك الفعل قد يفسر على أنه خروج على دولة الخلافة وكان يكفيه بإزائها الوعظ وتوصيل الدعوة وإنكار المنكر.. »[1].

وقال: « وهكذا كانت مواقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب العملية في القتال ونشر الدعوة وبالقوة على البلدان المجاورة داخل الجزيرة فلم يكن يقصد حرب دولة الخلافة فلم يتطاول على بلاد الحجاز إطلاقاً وظلت سياسته على هذا طوال حياته »[2].

قلت[3]: وكذلك بعد وفاته سارت الدعوة ودولتها على هذا المنهاج، إلى أن تتابع عليهم العدوان المسلح من قبل أمراء الحجاز، وغزوهم في ديارهم وقاتلوهم، ومنعوهم حقهم المشروع وهو أداء فريضة الحج، واستعدوا عليهم الأتراك، وغيرهم، بل شنوا عليهم حملة إعلامية نكراء في سائر بلاد المسلمين فكان لابد مما ليس منه بد.

---

1 **() المصدر السابق الحلقة (47)، ص(39) العدد (510).**

2 **() إعادة ترتيب أوراق سقوط الخلافة (دولة الخلافة والحركة الوهابية) للدكتور عجيل النشمي الحلقة (47)، العدد (510).**

3 **() الكلام للباحث.**